صورة الإنسان في قصيدة (مَدَدْ)

■، أستاذنا الدكتور عبدالعزيز المقالح هذا النموذج الفكري الرائد في أعماق الفكر اليمني والعربي على حدٍ سواء، والذي ما يزال يقدم سخاء عميقاً للمشهد التنويري دون انقطاع وإلى مختلف الصعد، قرأت له مؤخراً نصين الأول بعنوان (قصيدة لعام٢٠١٠ م) والثاني بعنوان (مَدَدْ) والنصان يخرجان من مشكاة واحدة محورهما الإنسان والزمن إلا أن الأول يبرئ ساحة الزمن من ظلامية الإنسان المتوحش وليس له أي ذنب أو جرم تجاه ما يجري في الكون من أحداث لأنه (يهرب من باب العتمة،خوفاً من هذيان الناس وأشواك اللعنات) وكان ذلك العام صديقاً للإنسان يرافقه تحت الشمس ،وتحت الليل ،وليس له أن يسعده أو يشفيه) وكان يحمل نوعاً من التحول الفاصل في حياة الإنسان بوصفه ذاهلاً من ظلامية الإنسان ويحمل في ذاته أحلاماً خضراء (لكن .. بعينيه الذاهلتين ،ما يكفي من أحلام خضراء ،تعيد للعالم فردوس الرؤيا وصفاء الصورة) أما النص الثاني فيتحدث عن الإنسان وروحه وبعده عن الحب والإنسان فحول الأرض إلى مزرعة للأحقاد لأنه إنسان «جسد» هجر الروح والحب فاستبدل بالحب الكراهية والأحقاد والأحزان وبالإنسانية الوحشية الضارية فأحال الكون إلى مأساة وكمد..

علي أحمد عبده قاسم

فما كان من المبدع إلا الشكوى للسلام الصمد حتى يعيد للإنسان روحه ونوره وحبه حتى يتبدد الظلام ويخلق الحب والنور بوجد صوفي عميق وسمو روحي صادق والذي سنقرأه في هذه السطور:

»مدد .. مدد
قبلك لا أحد
بعدك لا أحد
يا فرد، يا صمد
أشكو إليك
لا أشكو إلى أحد
ضاق بي الزمان والمكان
واشتوى الروح
وانطفأت في ساحة القلب
مصابيح بلا عدد«

لعل سطور المقطع تعكس دلالة المدد الروحي الغائب عن الكون بوصف خاصية البقاء الذي لا يفنى هو (الله) قبلك لا أحد، بعد لا أحد) وهذه قوة لا تكون إلا (لله) فهو على كل شيء قدير، (يا فرد يا صمد) فكانت الشكوى لغيره مذلة (أشكو إليك لا أشكو إلى أحد) فالاحتراق للنور البشري أحال كل شيء ظلام فضاقت الروح بالزمان والمكان (اشتوى الروح، انطفأت) فتحولت الروح المتطلعة للنور الإلهي إلى روح تستمد جائرة لربها تضرعاً بالمادة مصابيح الإنسانية فإن الإنسان تعرى عن الإنسانية وتحول إلى وحش ضار تعرى من الإنسانية والحب.

»مدد .. مدد
والماء للبحار
والأوراق للأشجار
والألوان للأزهار
والصمود للأحجار
هب لبني الإنسان
نفخة من نور حبك العظيم
ومن ضيائك الكريم
يا واحداً أحدْ«

مما سبق يلحظ القارئ أن النص يعكس دلالة تعري الإنسان عن إنسانيته وحبه لأخيه وتحول إلى القسوة والوحشية فإذا كانت البحار ممنوحة الجمال (بالماء) الذي من خلاله تحولت من مكان صلب قاس إلى مكان مترع بالخير والجمال الذي يرسم في الإنسان الحب والرحابة ومثل الأشجار ما هي إلا سيقان منفرة و لكن الأوراق والثمار تحولها إلى مخلوق زاخر بالجمال والخير مما يحولٍ الكون برمته إلى أمكنة وأزمنة آسرة توزع وترسم درساً قدرة الخالق الكاملة ومثل ذلكٍ الألوانٍ المتعددة للورود والأزهار التي حولت الكون جمالاً متعدداً (والألوان للأزهار) وكأن النص يعكس دلالتين مترابطتين الأولى تتمثل في أن الكائن الذي خلقه الله مكون من الجسد والروح فإذا فقد أحدها اختل التكوين، والدلالة الثانية أن النص يقسم بعظمة الله الموجودة في هذه المخلوقات (والماء للبحار، والأوراق للأشجار) ويعكس دلالة أخرى أن الإنسان خلع عن الحب والإنسانية وبذلك تحول إلى جسد مادي متوحش (هب لبني الإنسان نفخة نور حبك العظيم ومن ضيائك الكريم).

»أشهد أن الصبح
لم يعد صبحاً
وأن الليل لم يعد ليلاً
وأن الناس يأكلون بعضهم
ويزرعون الأرضٍ أحقاداً
والأفق أصفاداً
وأن موسيقى الجبال والأنهار
هاجرت
وانقلبت نواحاً فاجعاً
تحمله الريح من بلد إلى بلد«

مما سبق يلحظ المتلقي أن دلالة المقطع امتداد لما سبق إلا أن المقطع يشير بالدلالة إلى خروجٍ الإنسان عن فطرته بوصفه يصارع حتى يقلب شيئاً من انتظام الكون وهذا مستحيل أن الإنسان تحول إلى مزور للحقيقة (أشهد أن الصبح، لم يعد صبحا) وكان النص إلى اختفاء جمال الكون من أول تباشيره ويشير إلى زعم الحياة لخلق حياة كريمة و الليل الذي هو زمن للراحة والسكوت لم يعد كذلك لأنه مثل الصبح ولا يختلف عنه فناقض الإنسان نظام الكون لأنه يحاول رسم الصبح والليل، كما يريد وهذا مستحيل مما أفضى إلى تحول الإنسان إلى وحش ضار يحول الكون إلى مزرعة كبرى للحقد (الناس يأكلونٍ بعضهم ويزرعون الأرض احقاداً، والأفق أصفاداً) وبذلك اختفى الحب والجمال وتحول المكان إلى ساحة مظلمة مملوءة بالكراهية وغير متوازية (وأن موسيقى الجبال والأنهار هاجرت) فاختفى الجمال من المكان بفعل الإنسانٍ مما أفضى إلى أن الحزن والألم يطغى (انقلبت نواحاً فاجعاً) وكأن، الدماء هي مهراقة ببرود فانتقلت العدوى إلى العالم (تحمله الريح من بلد إلى بلد) لذلك كانت رسالة النص تعكس الإنسان المظلم الذي تحول وحشاً خالعاً للحب والإنسانية والفطرة فأصبح بلا أخلاق في حضارة حديثة تكرس للوحشية والسيطرة والإبادة وكأن النص يضمر السياسة اللاأخلاقية التي ترتدي عباءة الحضارة الحديثة القادمة إلينا والتي تدعي السمو الفكري والعرفي وهي على النقيض فكانت صورة الإنسان الجسد الخالع للروح والحب صورة وحشية أحل الإنسان مكان الحب والحقد واستبدل الإنسانية بالوحشية.

» ماذا اعترى وجوه الإنسان
كيف جحضت أعينهم
اندلقت أنيابهمٍ كي استوى
الإنسان وحشاً
يقتل في تلذذ
يخون في تلذذ
وكيف يستطيع عازف عن الرؤية
أن يخلع عينيه
كما يخلع عند النوم نظارته
فلا يرى الناس
ولا يرى الحريق في صدورهم«

إن المقطع يصرح مباشرة بتحول الإنسان عن فطرته وإنسانيته لذلك النص يستغرب ويتعجب من هذا التحول السهل المناقض فجاءت الصورة وحشية (كيف جحضت أعينهم) استغراب للتحول الوحشي القبيح مما أفضى إلى اطلاق الضراوة المتوحشة (اندلقت أنيابهم) فتلذذ بالقتل والخيانة فانعدم الحب والنور فالإنسان (عازف عن الرؤية) إن النص يؤكد تعمد الإنسان لخلع الحب والإنسانية بسهولة (كما يخلع نظارته فطغى الألم والاحقاد في أعماق الإنسان، لا يرى الناس ولا يرى الحريق في صدورهم) لأن الروح هاجرت وسيطرت مادية الإنسان وجسده.

»أقول للنفس
التي تضيق من أسر الجسد
تصبري يا نفس
لا عاصم بعد اليوم
لا ملاذ غيره
ولا سند«

فكان التمسك بالله فراراً من فوضى الجسد والمادية القاسية الخاوية من الروح والحب وبحثاً عن النور والاستقرار والسلام والاعتماد على الله الذي يقضي حاجة المحتاج ولا يحتاج حاجة من أحد.

»هو الذي الأرواح من ضيائه
والحب من أسمائه
والظلم من أعدائه
وهو الجلال والجمال
والسلام والصمد« .

وإن النص يبحث عن الروح لأنها نور من الله »الأرواح من ضيائه« والإنسان مظلم بدونها ولأن صفاته سبحانه فهو البر الرحيم فإن الحب »من أسمائه« ولأنه حرم الظلم على نفسه وجعله محرماً بين عباده لأنه »العدل« فإن الظلمٍ »من أعدائه« ولأن العظمة له دون غيره والجمال منحةً منه فإن الصراع الذي يخلق الظلم والكمد وينفي الروح والحب والفطرة سيأتي بالسلام والاستقرار والحب والثراء لأنه الخبير بعباده »وهو الجلال والجمال والسلام والصمد« .

وكأن النص يعكس صورة للصراع من أجل العظمة والسيطرة في ظل الظلم والحقد والأحزان وهذه مخالفة للفطرة والاستخلاف وتنمية الكون، لذك فإن التغير والتحول إلهي لأنه »لا غالب لا أنت« إشارة للصراع الذي يطحن الإنسان وتسيطره الوجوه اللامعة التي تركب على بحار الدماء الدافئة وسط شعارات الصبح والليل فتكون صورة الآلام والظلم كبيرة وكثيفة.

»لا ألوان بعد أن تماهت
الظلال في العتمة
بعد أن صار السواد حاكماً
والظلم في قبضته
والفقر والكمد« .

إن النص يعكس دلالة تحيل إلى ظلامية مختفية فيها الروحية والإنسانية وكأن تبدد النور وتحويل المكان والزمان إلى ظلام حالك سيئودي إلى الفقر والأحزان »الظلم في قبضته والفقر والكمد« فيخيم الحزن على أرجاء الأرض »أي حزن في تابوتها مسجد« إشارة إلى مرحلة سوداء مظلمة يخلقها الإنسان الراكض وراء الصراع والسيطرة النافض للحب لأخيه الإنسان المحطم لجماليات الحياة الخالع عن نفسه الإنسانية والروحٍ المتصارع تدميراً للحياة من أجلٍ السيطرة سائراً بجسده المتوحش تاركاً للروح بعيداً فاصطلى بسعير ماصنع.

»ماذا جنى الإنسان
حتى يصطلي جحيمه«.

علي أحمد حسين شرف الدين

الحق مكفول

حنيت ما حنت رعود الباديه
حنيت ماحن الأسد في محبسه
يا صحابنا ليش القلوب متعاديه
هذا اليمن لازم علينا نحرسه
نشتي نظام في ظل ديمقراطية
مانريد تخريب كافي هلوسه
من ذي بدا يلعب على نار هاديه
لا توسعت نيرانها با تلمسه
الحل موجود والمسائل عاديه
كل القضايا بالحوار باندرسه
خلو الشوارع والطرق للغاديه
و الرايحه للطب أو للهندسه
خلو الميادين للطيور الشاديه
الحق مكفول يا شباب ما نبخسه

رسالة ماجستير عن البنية القصصية في شعر الديلمي

خالد الشامي – ذمار

قاعة الدكتور عبد العزيز المقالح في جامعة ذمار، كانت يوم أمس على موعد مع المناقشة العلنية لرسالة الماجستير التي تقدمت بها الطالبة/ فاطمة محمد سعد العزي من قسم اللغة العربية في كلية الآداب، جامعة ذمار، وكانت رسالتها بعنوان (عناصر البنية القصصية في شعر عباس الديلمي – دراسة تحليلية)، وهذه الرسالة تعد الأولى من نوعها في شعر عباس الديلمي، وقد أشرف على هذه الرسالة أ.د عبد العزيز الحاج مصطفى، وتشكلت لجنة المناقشة على النحو الآتي:

أ.د صبري مسلم حمادي ، أستاذ زائر، رئيس لجنة المناقشة.
أ.م.د محمد أحمد عبد الله الزهيري، جامعة إب، عضو اللجنة.
أ.د عبد العزيز الحاج مصطفى، جامعة ذمار، المشرف.

وقد وزعت الباحثة الرسالة على أربعة فصول: الأول تناول الشخصية، فيما كان الحوار هو محور الفصل الثاني، أما الفصلان الثالث والرابع فقد تناولا المكان والحدث، والزمان والحدث.

هذا بالإضافة إلى التمهيد والمقدمة والخاتمة والنتائج، وقد أشادت اللجنة بمستوى الرسالة والجهد الذي بذلته الباحثة، والذي استحقت عليه درجة الانتياز.

وقد حضر المناقشة كل من : أ.د أحمد الحضراني رئيس جامعة ذمار، والأستاذ عباس الديلمي، والدكتور عبد الكريم البحلة رئيس قسم اللغة العربية في كلية الآداب، والدكتور عبد الله الهتاري أستاذ النحو والصرف في الكلية، إضافة إلى العديد من الأكاديمين والباحثين والمهتمين.

إصدارات ثقافية

البحر المتوسط.. عبقرية السينما

■ أصبح مهرجان «مونبلييه» للسينما المتوسطية، أحد أشهر مهرجانات السينما في أوروبا بميدانه، بل وأصبح «مرجعا» عن سينما حوض البحر المتوسط. و«بيير بيتيو» أحد مؤسسي هذا المهرجان، يكرّس كتابه الأخير لـ«المتوسط، عبقرية السينما»، كما جاء في عنوانه.

إن المؤلف يشير إلى أن «معلّمه» الفكري هو فرنان بروديل، المؤرخ الفرنسي الكبير والمختص بالبحر الأبيض المتوسط، حيث كرّس له رائعته الشهيرة: «البحر المتوسط والعالم المتوسطي في عهد فيليب الثاني» والذي عرف في فرنسا طبعته الثامنة وجرت ترجمته إلى مختلف اللغات المتوسطية.

ومثل «بروديل» يعلن مؤلف هذا الكتاب أنه مأخوذ بين «عاطفتين» هما البحر المتوسط والسينما. وهو كان قد جمع بين «هوى» المتوسط و«هوى» السينما في مهرجان مونبلييه للسينما المتوسطية. هذا الجانب هو الذي كان وراء انطلاق المخرج «أمير كوستوريكا» وآخرين.

ما يبحث عنه المؤلف في هذا الكتاب هو محاولة تعريف هوية السينما وعبقريتها بواسطة المجال الذي يشكله حوض البحر المتوسط. وهو يؤكد على القول ان هذا المجال «المغمور» طيلة الوقت تقريبا بالشمس والضوء» أعطى للسينما بعض قوانينها». وهذا ما يقوم بتوصيفه في سينما بلدان حوضه وما قدّمته من كنوز سينمائية.

والمؤلف يتعرّض في هذا السياق إلى التطور الذي عرفه فن السينما، وما قدمه من نتاج أثراه في اسبانيا وإيطاليا وبلدان البلقان وسوريا ولبنان وفلسطين ومصر والمغرب. وبالطبع فرنسا حيث يوجّه تحية خاصة إلى فيلم «ماريوس» لمخرجه مارسيل بانيول، والذي يعتبره نموذجا للسينما الفرنسية – المتوسطية».

إن هذا الكتاب هو بأحد وجوهه كتاب عن مهرجان مونبلييه الذي تأسس عام ١٩٧٩ وعن الفن السابع في المنطقة المتوسطية بكل مشاربه وألوانه. ذلك: «أن من يقول سينما متوسطية، فإنه يحكي بالوقت نفسه عن تدفقات الأضواء وتداخل الجفاف بالمكان وباللهجات»، كما يكتب المؤلف. ويضيف أن هذه السينما المتوسطية و«فيما هو أبعد من كل الوقائع المادية، تشكّل طريقة بالتفكير... ورؤية فلسفية».

وفي إطار مثل الذهنية الشاملة لما يسميه المؤلف بالمجال المتوسطي الذي يمتد في تعريفه من البرتغال والغرب غربا حتى بلاد القوقاز، يقوم بدراسة السينما في البلدان المعنية باستثناء بلد واحد هو ليبيا «إذ ليس هناك سينما في بلد الرئيس القذافي»، كما يشير.

ويشير المؤلف في هذا السياق إلى صاحبة المكتبة «فانيت ديبامارد» التي يعرفها منذ أن كان يعمل بمجال التأمين، وهي التي «تقوده» اليوم من أجل «تغيير إيقاع الجمل التي يكتبها». وهو يصفها ب«مدرّبي»، على غرار مدرّبي فرق كرة القدم.

ولا يتردد المؤلف في القول ان «عشق السينما غيّر حياته». ويؤكد أن الإنسان «هذّب» بواسطة الصورة رؤيته للعالم وكذلك نمّى عقله النقدي. ثم أن الصورة زادت من سبل وزوايا النظر إلى الإنسانية و«التعبير بواسطة الصورة جاءنا من أعماق كهدف ما قبل التاريخ»، كما نقرأ.

والمؤلف يجد رابطة «فن الرسم» والفن السينمائي.ويعتبر أنه من هذه الرابطة بالتحديد وُلد «فن الباروك» الذي قام في حوض المتوسط.

ويصف هذا الفن بالقول: «لقد وُلد من كنف الحركة في البرتغال ومات عبر المبالغة في اللجوء إلى الزركشة والزينة في روما».

ويشرح المؤلف أن البحر المتوسط موجود بقوة في سينما بلدان حوضه. وفي سمائها الزرقاء إلى درجة أنها تميل إلى البياض. وفي ذلك المشهد الربيعي الممتد من توسكانا في إيطاليا حتى اليونان.

ويرى بيير بيتيو أن سينما جنوب المتوسط «مصنوعة» من هذا الضوء الساطع ومن «موسيقى الحياة» التي يبعثها، ومن السمات الأساسية التي يتم التأكيد عليها في السينما المتوسطية ذلك «المرح» المتوائم والمتصالح مع البحر المتوسط ذاته. هذه المشاعر كلها يتم تقاسمها على الشاشة. ذلك أن «سلطة السينما تتمثل في عيش الوهم وكأنه الواقع. وعندما يكون الفيلم جيدا وسط ظلام الصالة لا يمكن للمرء أن يقمع متعته».

وإذا كان المؤلف يؤكد على أهمية الشكل، وخاصة الضوء واللون، في السينما المتوسطية فإنه لا ينسى الحديث عن «مضمون» السينما المتوسطية. ذلك على خلفية حالة «الوعي» المتقدم في حالات كثيرة لدى العاملين في الحقل السينمائي. هذا ما يبدو من خلال المواضيع التي تتم مناقشتها وليس أقلها مسائل الهجرة والمهاجرين.

ذلك في ظل واقع العولمة التي جعلت من البحر المتوسط «ممرا»، وفي حالات كثيرة «قبرا» لآلاف المرشحين للهجرة صوب «الأمل» في أوروبا وبحثا عن مستقبل «أقل بؤسا». قضية المهاجرين ومغامرة البحر ورغبة الرحيل «لأسباب قاهرة»، هذه هي مواضيع عدة أفلام مغربية وجزائرية. و«أوضاع المرأة» هي مادة مهمة أيضا لسينما جنوب المتوسط وليست قليلة هي الأفلام المصرية التي تتم الإشارة إليها والتي جعلت من مكانة المرأة في المجتمع موضوعا لها. وفي هذا السياق يدعو المؤلف قارئه إلى «عودة اكتشاف» السينما الإيطالية والاستمتاع بما تمتلكه من تفرّد.

الكتاب: البحر المتوسط، عبقرية السينما
تأليف: بيير بيتيو
الناشر: انديجين مونبلييه باريس ٢٠٠٩
الصفحات: ٢٠٥ صفحة
القطع: المتوسط

«الفكر الجمهوري»

■ أصدر مشروع «كلمة» للترجمة التابع لهيئة أبوظبي للثقافة والتراث كتاباً جديداً باللغة العربية بعنوان «الفكر الجمهوري». للمؤلف والمفكر السياسي الإيطالي ماوريتسيو فيرولي، والذي قام بنقله للعربية ناصر إسماعيل.

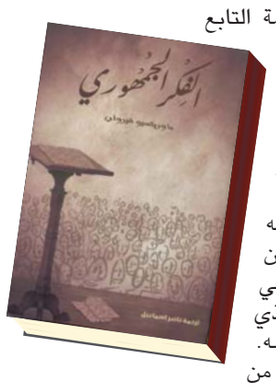

يعالج المؤلّف الإيطالي في كتابه إشكالية سياسية جوهرية، إذ يبين أن مفهوم الفكر الجمهوري، يتعارض في المقام الأول، مع التسلط السياسي الذي لا كابح ولا نظام له ومع كل من يمارسه. يتتبّع الكتاب المسارات الأساسية من تاريخ نشأة مدرسة الفكر الجمهوري، ليتناول بالشرح في موضع لاحق معنى الحرية السياسية، ثم يناقش في ما بعد التفسير الجمهوري للفضيلة المدنية، ليثبت أن تلك الفضيلة ليست مقصورة على الأبطال والقدّيسين، ولكنها فضيلة متاحة للجميع في الزمن الراهن كافة ، تليها مناقشة في الفصول الأخيرة لمسألة كيف أن الجمهورية الحقيقية لا غنى لها عن «الوطنية الجمهورية»، التي تمثل الشعور الوحيد القادر على جعلٍ أفراد تربوا في ظروف ثقافية ودينية وعرقية مختلفة يعملون معاً ونصب أعينهم المصلحة العامة. إذ ليست النظم الدستورية، ولا حتى أفضل القوانين، كافية وحدها للدفاع عن الدول من التهديد الخارجي، إن لم يكن مواطنوها يتمتعون بتلك الحكمة الخاصة التي يستطيعون، من خلالها، أن يدركوا أن مصالحهم الشخصية لا تنفصل عن المصلحة العامة، وبتلكٍ الروح الكريمة وبالطموح الصحيح اللذَين يدفعان المواطنين دفعاً للمشاركة في الحياة العامة، علاوة على تمتعهم بالقوة الداخلية التي تمنحهم الإصرار على مقاومة المعتدين، ولا تمثل تلك الحكمة الخاصة، والطموح الصحيح، والروح الكريمة، سوى مظاهر متعددة لتلك الفضيلة التي اعتاد المفكرون السياسيون أن يطلقوا عليها «الفضيلة المدنية».

يخلص المفكّر ماوريتسيو فيرولي، في مؤلّفه، إلى أن الخطر الأكبر الذي يتهدّد الحريةَ العامة يكمن في الفساد السياسي، الذي يجعل من الجميع غير قادرين على التحلي بالحكمة التي تمكّنهم من الحكم بدقة على الأفراد وعلى الأشياء، ويجعلهم لا يستطيعون التمييز بين الفضيلة والرذيلة، وينزع منهم القوة الأخلاقية اللازمة لمقاومة الاضطهاد ولمحاربة الظلم، ويدفعهم للخنوع والتملّق.

مؤلف الكتاب ماوريتسيو فيرولي أستاذ في جامعة برنستون الأمريكية. سبق وأنَ أصدر عدة أعمال منها: «من السياسات إلى منطق الدولة»، نشر جامعة كمبريدج، و«محبة الأوطان بين الوطنية والقومية» نشر أكسفورد.

أعدّ ترجمة كتاب «الفكر الجمهوري» إلى العربية المترجم ناصر إسماعيل وهو مصري مقيم في إيطاليا، حاصل على درجة الدكتوراه من جامعة كالياري بسردينيا، يدرس اللغة والآداب العربية في جامعة جنوة الإيطالية، وله العديد من الأبحاث والدراسات باللغة الإيطالية.